كانت تختلق لعائلتها الحكايات الجميلة فصارت حكاية مأساوية للارهاب الذي استباح البراءة

بغداد / جلال حسن

لم تدرك "عائشة" ٧ سنوات ما ستؤول اليه الامور المفاجئة، والتي لم تكن بالحسبان، فقد كانت تجلس بجوار ابيها في سيارته المتجهة من منطقة العلاوي والذهاب الى عمتها في الدورة التي دعتهما للزيارة وتلبية دعوة بسيطة لتناول (الغداء) ورؤية هذه الطفلة الجميلة، فكانت عائشة تحدث اباها على امتداد الطريق عن المدرسة ومرشدة الصف، ودلال بعض بنات المعلمات اللواتي يجلبنهن الى المدرسة، وعن أفلام كارتون والفأرة جيري والقط المسكين والمقالب المضحكة وابطال ديجيتل وعدنان ولينا وسوبرمان.

وكان الاب يستأنس لحديث عائشة ويضحك بصوت عال ويقول لها: (استمري بالحديث ياعيشة)، وكانت تختلق له الحكايات الجميلة، وتعلق على اللافتات الموزعة على الشوارع تتهجاها بصوت مرتفع وتسأل اباها اسئلة صغيرة، فتقول له ما الديمقراطية والارهاب؟ ولماذا كل هذه السيطرات العسكرية؟ وكم وزن الدبابة؟ ولكن الاب يحاول ان يتخلص من الاجوبة ويسرح بافكاره بانه سيرسم مدناً جميلة يحلم بها الطيبون الذين تحاصرهم الهموم لكي يعودوا من جديد، ويلتقوا على ارصفة المحبة ويتقاسموا السعادة فيما بينهم، وتكون بغداد مدينة جميلة فيها عمارات عالية وحدائق وانفاق وجسور ومكاتب سفر لجميع انحاء العالم وناطحات سحاب ومنازل انيقة وتنتهي الحروب والازمات والاوجاع القديمة والجديدة، ومن حق العراقي ان يحلم بالحدائق والزهور، ويحتضن عبق الفراشات، ويرى الأطفال مثل الصور الملونة يلعبون على بساط الامان، وينام الجميع دون خوف أو وجل، ولا يسمعون دوي الانفجارات والسيارات المفخخة والاطلاقات النارية والمدافع وصوت الطائرات، ويستيقظون على صباح مشمس آمن يحتضن الجميع بالدفء. والحنان وبينما الاب يسرح بافكاره، وعائشة تصغي بذهول واهتمام الى كلام ابيها، وحين وصلا الى منطقة مقابلة لمتنزه الزوراء حدث شيء مروع انفجار مذهل. انفجار صهريج هائل، ادى الى تدمير كل السيارات القريبة منه وتناثرت الاشلاء البشرية لتسقط على رصيف الشارع البارد اشلاء مبعثرة لا يمكن التمييز بينها، وضاعت جدائل ودموع "عائشة" في وهج النيران المشتعلة وتمزق جسدها على قارعة الطريق، بينما سارعت وكالات الانباء لتتحدث عن انفجار صهريج في بغداد ادى الى مقتل خمسين شخصاً وتدمير عدة سيارات غرب بغداد وتصف سيارات الاسعاف والجرحى والاشلاء البشرية والدماء على الارصفة. وظهر احد المسؤولين على شاشة التلفاز يقول: علينا الضرب بيد من حديد من اجل منع هذه العمليات الإرهابية .

لكن عائشة ماتت

في غرفة إدارة المدرسة

وسط دموع المعلمات سردت (مي) حكاية خطفها

بغداد / علي حسين القيسي

تجمعت معلمات مدرسة (....) بمنطقة البياع داخل غرفة الإدارة وهن يستمعن مبهوتات لكلام الطالبة (مي ٨ سنوات) وهي تسرد لهن حكاية خطفها الاسبوع الماضي من عصابة خطف لئيمة لم تفرج عنها الا بعد تسلم الفدية البالغة (١٠ الاف دولار) بعد مفاوضات مطولة عبر الهاتف النقال.

وكانت الطالبة مرتبكة أول الامر من نظرات معلماتها وهي تقول: يوم الثلاثاء الماضي وقد كان الدوام في مدرستي بعد انتصاف النهار، طرق بابنا خرجت لاجد سيارة متوقفة داخلها رجال قال احدهم: السيارة بحاجة الى ماء دخلت الى المطبخ وملأت دلوا احمر لدينا وما ان اقتربت من السيارة لاسلمه الماء حتى امسك بي ليحملني الآخر بقوة الى داخل السيارة بكيت وصرخت بشدة ولكن ليس من مجيب فقد انطلقت السيارة بسرعةٍ جنونية وعصبوا عينيَ بقماش وهددوني بالقتل اذا لم اسكت مما زاد رعبي ولكن احدهم ضربني ليستكني بالقوة.. سكت مضطرة ولم اعد اعرف أين أصبحت بعد نصف ساعة دخلت السيارة مرآباً لانزل محمولة من احدهم ليضعني على سرير داخل غرفة وبعد ان أزيح عن عيني القماش وجدت مجموعة من الالعاب تحيط بي عاودت البكاء والصراخ فصرخ احدهم بي قائلاً: اذا جئتك فسأقتلك وهو يرمقني بعينه المرعبة وانا اصيح: اريد امي .. اريد امي.

دخل الرجل الكبير الغرفة وبيده (نستلات) يحاول ارضائي وهو يضحك ويطمئنني ليدفع عني الخوف وقرب مني لعبة تعمل على الكونترول..

توقفت مي عن الكلام لتأخذ انفاسها والوجوم يسيطر على معلمات المدرسة وهن يستمعن الى تلميذتهن التي اتقذها الله برحمته من يد الخاطفين القساة الذين يلهثون وراء المال الحرام.. اكملت مي: قلت لهذا الرجل الذي جلس بقربي ان ابي سوف يعطيكم نقود كثيرة لو طلبتم منه ذلك.. ضحك بشدة وهو يقول: كيف تعرفين ذلك قلت له: وهو قال لنا ذلك الاسبوع الماضي وعلمنا حتى لانخاف من الخطف.. (كان السيد عبد الله اللامي والد مي الذي يعمل مقاولاً قد وردته معلومة عن نشاط محموم لعصابة خطف الأطفال في المنطقة فعرف ان الدور سيأتيه لا محالة فاخذ يوصي زوجته ويطمئنها ليبعد عنها الخوف وكان ذلك بحضور الأطفال).

استمرت مي تسرد حكايتها للمعلمات اللاتي اخت الدموع تترقرق من مآقي بعضهن:

عند الليل نمت ولم ادر أو احس بشيء حتى الصباح وما ان استيقظت حتى تملكني الرعب والفزع مرة اخرى فصرخت: اريد امي .. اريد امي.

عندها جاء الرجل الودود نفسه وبيده كوب من الحليب وهو يحاول اسكاتي.. بعد ان تناولت الحليب والبسكويت وهو في كل مرة يمنيني بالافراج اذا اكلت اخذ بيدي الى الصالة لنشاهد التلفزيون كان هاتفه يرن في كل لحظة ولكني ما ان شاهدت الشاب القبيح يدخل الصالة حتى صرخت والفزع يتملكني واندفعت لاحتمي منه بالرجل الودود الذي هو من العصابة ذاتها وهو يقول: لا تخافي.. هذا مثل عمكِ وهو يضحك مقهقهاً.

استمر حالي هكذا ثلاثة ايام وفي اليوم الثالث عند الظهر شدوا عينيَ واركبوني السيارة وقالوا: اليوم سترين اباك.

انطلقت السيارة لا اعرف من اين ولا الى اين لينزلوني بعد لحظات طالت في الشارع العام بعد ان فتحت عينيَ ليسيطر علي الخوف وانا مسمرة في مكاني ابكي بقوة حتى شاهدت سيارتنا من بعيد رحت اركض باتجاهها.. نزل ابي ليحتضنني وهو يبكي وذهبت برفقته الى بيتنا لاجد امي بين الحياة والموت والبيت يغص بالناس من اقربائنا وجيراننا.. وجاء احدهم بخروف ذبحه عند عتبة دارنا بمناسبة سلامتي.

كانت دموع المعلمات قد توقفت مع توقف مي والمديرة غير مصدقة قسوة هذه العصابة ولا انسانيتها وهي تدعو الله ان يفرج هذه الغمة عن هذه الامة رحمة بالاطفال.

والطالبة مي عبد الله قد خطفت من دارها الاسبوع لماضي وهي صورة واحدة من عمليات خطف تنتعش هذه الايام مستغلة الظرف التعس.

البعض يبيعون وآخرون يشترون

أنواط الشجاعة متاحة للجميع بـ ٢٥٠ دينار فقط!!

بغداد / المدى

المصادفة وحدها جمعتني مع اشخاص لا يعرف احدنا الاخر امام متجر لبيع الانتيكات في شارع سلمان فائق ببغداد، احدهم سألني ان كنت اعرف بانواع الذهب ووضع بيدي نوط شجاعة ذهبي اللون وقال لي: هل هو عيار ١٨ او ٢١ وكم يساوي برايك، فاشرت له بسؤال صاحب المحل فهو الاعرف، وبابتسامة من (ابو احمد) الممسك باحدى تحفياته قال للرجل: انه نحاس عيار ٢٤ ويساوي ٢٥٠ دينار فقط.

ابو زينب وهو من سألني قال: قبل لحظات وجدت هذا النوط في الشارع ولاني لم احصل عليه ايام الحروب وما بعدها كوني معاقا واعمل فراشا في مستشفى منطقتنا الحكومي لذا فلا علم لي ان كان ذهباً ام نحاسا، ويضيف ابو زينب مازحاً: لو لم يكن يعلم بثمن النوط من فقده لرايته الان يجوب الشوارع بحثا عنه.

وبالاضافة الى بيع الانتيكات والتحف الاثرية تعرض في متاجر الانتيكات عملات نقدية وساعات تحمل صور الرئيس السابق صدام حسن وايضا انواط الشجاعة والاستحقاق العالي وشارة ام المعارك التي حصل عليها العسكريون السابقون واعضاء حزب البعث المنحل فترة النظام السابق، يقول ابو احمد في متجره: لم نكن سابقا نتعامل ببيع الانواط والشارات الا ان اليوم نشهد اقبالا كبيرا على شراءها وبالاخص من قبل الاجانب، ويعلل سبب اقبالهم، على اقتناءها بالقول: انهم يحبون الاحتفاظ بانواط الشجاعة كتذكار من العراق وفي بعض الاحيان نهديها اليهم مجانا حينما يشترون تحفا بمبالغ كبيرة.

صدمة ابو زينب بالنوط الذي ظنه ذهباً واعتقد بانه سيحسن وضعه المعاشي تكررت مرارا في محلات الصياغة، يقول فرقد الجادر/ صائغ: شهد صيف ٢٠٠٣(هجوماً) من المواطنين على محلي يعرضون انواط الشجاعة للبيع لحاجتهم الى المال وبالاخص العسكريين الذين توقفت رواتبهم، وفي كل مرة اخبرهم بانها ليست ذهبا فيعودون ادراجهم، ويضيف فرقد: قبل سقوط النظام لم يعرض احد ما انواطه للبيع بل واعتقد لم يفكر احدهم بذلك خوفاً من اجهزة الامن وربما يظنون بان احتفاظهم بها دليل امتيازهم في فترات الشدة.

في منطقة الباب الشرقي تتوزع في اكثر من زاوية (جنابر) بيع انواط الشجاعة والاوسمة المختلفة يعرضها البائعون على منضدة صغيرة وتغلف الانواط بعلب بلاستيكية وبعضها بدون علب، يقول رعد / ٣٩ سنة: لنا تجارتنا الخاصة وهي بيع وشراء الانواط، والاوسمة التي منحها النظام السابق للعسكريين ونشتريها منهم بـ (الجملة) ونبيعها بمبلغ ٥٠٠ دينار وفي بعض الاحيان بـ ٢٥٠ دينار ويقبل المواطنون على شراءها واغلبهم ممن لم يحصلوا عليها سابقا، ويضيف رعد: غالبا ما ينكر بائعوا الانواط ملكيتهم لها ويدعون بانها تخص اصدقاء لهم لاخفاء هويتهم.. ولا يهمنا ذلك.

وفي زاوية اخرى من نفس المكان: اشترى عبد الستار جبار / طالب جامعي اربعة انواط بمبلغ ١٠٠ دينار وحدثني عن سبب اقتناءه قائلا: تولدت لدي مؤخرا فكرة توثيق المراحل السياسية التي تمر على العراق بقطع ورموز تشير الى تلك المرحلة ووجدت انواط الشجاعة رمزا لفترات الحروب بين اعوام ١٩٨٠ و ٢٠٠٣ ويضيف عبد الستار: لدي شارة ام المعارك اقتنيتها قبل مدة وسأضيف هذه الانواط معها، ودائما أسال نفسي.. ترى كيف شعر صاحب النوط او الشارة حينما تقلد بها اول مرة وبماذا احس عند بيعها حينما لم يجد معنى لاحتفاظه بها؟

تساؤل عبد الستار اجاب عنه يحيى وهو نائب ضابط في الجيش السابق وقال: ما حصلنا عليه (ضحك على الذقون) فالعسكريون بالرتب العليا نالوا شارات وسيوف مصنوعة من الذهب وامتيازات اخرى اما نحن من خدم العراق وافنى شبابه في الجيش فلم نحصل الا على شارات نحاسية فرحنا بها بادئ الامر وتخلصنا منها حين اكتشفنا كم كنا مخدوعين، واضاف يحيى: لدي خمسة انواط شجاعة وكنت احصل منها زيادة على راتبي بمقدار اربعة الاف ومائتي دينار اصبحت لاحقا ستة الاف دينار واليوم بعتها جميعا بالف دينار فقط لاني اريد التخلص من كل ما يذكرني بايام الحرب وضياع الشباب.

ويقتني البعض انواط الشجاعة لاسباب اخرى حدثني بها غزوان سعد / ٣١ سنة قائلا: نفتقد ومنذ سقوط النظام لاجتماعات ومناسبات توزيع الاوسمة واقتنيتها جميعا بحوالي عشرة الاف دينار، ويضيف غزوان : سمعت ان الاجانب يقتنوها من متاجر الانتيكات بشغف واعتقد بان سعرها سيرتفع مستقبلا بعد خلو العراق منها.. اذن فهي استثمار بالنسبة لي.

ولم يشأ احسان زميل غزوان بالتعليق عن الموضوع الا انه اكتفى بالقول: بعض تلك الانواط كلفت العراقيين حياتهم في المعارك وتركت عاهات في اجسادهم اما البعض الاخر فقد حصل عليها وهو جالس في بيته فلذلك لا يعرف قيمتها ونراها اليوم تباع في الشارع بـ ٢٥٠ دينار وهو مبلغ لا يكفي لشراء علبة سكائر.

عندما يكون الظرف اقوى من النصيحة..

رداءة الحليب وارتفاع سعره يعود بالنساء الى إرضاع اطفالهن طبيعياً

بغداد / بشير الاعرجي

بعض الناس يعمل بجد ليكسب كثيراً ويشتري ما يرغب والبعض الآخر يجهد نفسه ايضاً ويجمع المال ولكن.. ليشتري حليباً لطفله الرضيع . مع تلك الكلمات اخرج زكريا محيي خمسة وعشرون الفاً من جيبه لشراء خمس علب حليب من سوق الشورجة تكفي لغذاء طفله احمد البالغ من العمر ستة اشهر ولمدة اسبوعين.

زكريا ٣٣ سنة ويعمل في احدى المطابع يعاني كغيره من الشباب المتزوجين من عدة مشكلات يقول عنها: فرص العمل الان قليلة جداً وما انفقه على احتياجات بيتي لا يكفي مقارنة مع ما اجنيه من عملي واضفت الى تلك الاحتياجات شراء حليب لطفلي وبمعدل خمسون الف دينار شهرياً وهو مبلغ لم اكن لاهتم به لو توفر العمل وحصلنا على مرتبات جيدة، ويضيف: بعض العوائل فقدت فرحة المولود الجديد لقلة مواردها المالية.. ماذا تفعل لشراء الحليب ومع ارتفاع سعره؟.

وتتفق اغلب النساء ان الجواب لسؤال زكريا هو العودة الى الرضاعة الطبيعية لاطفالهم ليس لارتفاع سعره فقط بل لسبب آخر ذكرته لي دعاء نورس ٢٨ سنة قائلة: اضطررت قبل ايام الى الذهاب الى مستشفى الطفل المركزي الساعة الحادية عشر مساءً مع زوجي لان طفلي زيد اصيب بمرض ارعبني وتحملنا مخاطر الطريق ليلاً لاجله وبعد فحصه من قبل الطبيب اخبرني بان سبب المرض تناول حليب لم يناسب معدته، وتضيف دعاء: تمر عائلتي الان بظرف اقتصادي صعب يمنعني شراء حليب جيد لطفلي وسأحاول ان ارضعه من صدري خوفاً عليه من امراض الحليب المغشوش.

فيما اتجهت العديد من النساء الى العودة لارضاع اطفالهن طبيعياً بعد انتشار الاوبئة والامراض ليس في العراق فقط بل دول العالم، تقول نغم سامي/ ٣٤ سنة: كيف نعلم ان حليب الأطفال خال من الامراض وقد استورده بعض ممن اصبحوا تجاراً ويأتون به الى السوق بطرق غير مشروعه، وكيف نتأكد ان الامراض التي تصيب اطفالنا الرضع سببها الحليب وليس عارض آخر، بعض النساء لا يتمكن من ارضاع اطفالهن طبيعياً لظروفهن الخاصة فيكون الحليب المجفف عوضاً عنه وتكون زيارة الطبيب ضريبة، وتضيف نغم: مع ان طفلي لا يتقبل الحليب من صدري الا انني ارغمه على ذلك خوفاً من اصابته باي وباء وبالأخص بعد انتشار انفلونزا الطيور وغيره من الامراض غير الموجودة سابقاً.

وتكتظ عيادات اطباء الأطفال بامهات وصراخ من اجساء صغيرة خرجت الى الحياة قبل اشهر واجتمعت في مكان واحد وسبب واحد ايضاً، في عيادة الطبيب سلام الراوي لم اتحدث معه سوى دقيقة واحدة بعد ان عرف المراجعون ان زيارتي ليست مرضية لعدم وجود طفل معي ولكوني رجل وانا في عيادة للأطفال فدت عبارات التذمر لتأخر الوقت .. يقول الدكتور سلام : اغلب الأطفال الرضع يعانون من مشكلات في معداتهم بسبب رادءة الحليب المستخدم ودائماً انصح الامهات ان العلاج لديهن من خلال ارضاع الأطفال طبيعياً للفوائد الكبيرة من حليب الثدي الا ان النساء لا يتقبلن تلك النصيحة وتراهن يعدن اسبوعين أو اقل الى عيادتي واسمع كلامهن حينما يتجاذبن الحديث بان العلاج غير فعال ا وان الطبيب غير كفوء، ويضيف الدكتور سلام: لبعض النساء اعذارهن ي عدم ارضاع الطفل طبيعياً غير ان المتبقيات هن احد أسباب مرض الطفل.

الكلام الذي سمعته في عيادة الطبيب أكدته لي سهى العامري / معلمة قائلة: بعد انتهاء إجازة الأمومة عدت الى مدرستي، وهذه العودة كلفتني ترك طفلتي في المنزل مع جدتها التي ترضعها الحليب المجفف فترة غيابي وحينما ارجع الى بيتي لا تتقبل الطفلة الحليب من صدري لتعودها على قنينة الحليب وبصراحة هذ الامر يريحني بعض الشيء، وتضيف سهى: اشتري شهرياً بمبلغ ٤٥ الف دينار حليب ذو نوعية جيدة خوفاً على طفلتي من الانواع الرخيصة والرديئة ولو لم اكن انا وزوجي نعمل لاستصعبنا شراء الحليب بهذا المبلغ.ويعلل أصحاب المحال سبب ارتفاع سعر حليب الأطفال لعدم توزيع وزارة التجارة لمادة الحليب مع مفردات الحصة التموينية منذ مدة كما يعتقد ماهر صالح ويضيف مؤشراً باصبعه على علبة حمراء اللون: هذا النوع كان يوزع مع الحصة التموينيى وثمنه اليوم خمسة الاف دينار وقد وصل سعره فترة توزيعه مع الحصة الى ٨٠٠ دينار وهناك انواع اخرى اقل قيمة ولكن بجودة اقل، ويضيف قائلاً: المواطنون يقبلون على نوع أو نعوين محددين من الحليب ولو استمر انقطاعه عن الحصة التموينية مع وجود حليب في السوق رديء الصنع فاعتقد بان العلبة الحمراء والخضراء من هذا النوع سيرتفع سعرها مجدداً وعندها تضطر الام الى ارضاع وليدها طبيعياً.

بعض الأشخاص لم يضعوا عقبة ارتفاع سعر الحليب أو رداءة نوعيته سبباً للدعوة الى الرضاعة الطبيعية وتحججوا بضرورة إشاعة ثقافة التنشئة منذ أول يوم يخرج فيه الطفل الى النور، ويقول عماد اللامي/ موظف: زوجتي الآن حامل في الشهر التاسع ومنذ ايام وانا اخبرها بضرورة ارضاع الطفل طبيعياً وعدم الاعتماد على الحليب المجفف وتقبلت الامر مع وجود معلومات مسبقة لديها بفوائد الرضاعة الطبيعية وقد افرحني الامر كثيراً، ويضيف عماد: لو استمر ارتفاع سعر الحليب وانتشار الانواع الرديئة مقابل تفهم الامهات لفوائد الرضاعة الطبيعية لاصبح جيل الـ ٢٠٠٦ صحياً ١٠٠٪.